

إسبانيا واستغلال الموارد الطبيعية في شمال المغرب بين الرغبة الاستعمارية وضعف موارد المنطقة الخليفية منطقة اللوكوس نموذجًا (١٩١٢-١٩٥٦)

وليد موحن

باحث في سلك الدكتوراه (التاريخ الحديث والمعاصر)
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – المحمدية
جامعة الحسن الثاني – المملكة المغربية



ملخص

لا مناص أن غاية كل استعمار تتجلى في الاستفادة من خيرات المستعمرات، في كافة المراتبي والتجليات منذ بداية هذه العملية الاستيطانية الكونية، ولم تكن إسبانيا بعيدة عن هذا المنحى في استعمارها لشمال المغرب، بل كانت تروبو بشكل أساسي استنزاف ما اكتنفت المنطقة الخليفية من ثروات ظاهرية وباطنية، على الرغم أنها لم تكن تملك نفس الآليات والتقنيات والدراسات التي بلورتها فرنسا الجارة في الاستعمار المغربي، والتي استعمرت المنطقة السلطانية، واستنزفتها بصورة قوية، كما توضح الكتابات الفرنسية، والأطروحات المغربية، وبما أن إسبانيا لم تكن تمتلك نفس المقومات، فإنها لم تجن من هذا الاستعمار سوى الفتات. وقد ارتأينا التركيز على منطقة جغرافية محددة هي منطقة اللوكوس، من أجل النفاذ إلى ميكانيزمات الاستغلال الاستعماري الإسباني في منطقة عرفت نسبيًا مقارنة بالمناطق الأخرى الجبلية والريفية بثرائها وخصبة أراضيها وبمواردها السمكية، والتي عملت الدولة الإسبانية على استنزافها بشكل مفرط أثر على موارد نهر اللوكوس في مراحل ما بعد الاستعمار. ومن أجل تسهيل هذا الهدف والمرام، فقد عملت إسبانيا على مد السكك الحديدية، وتجهيز الموانئ البحرية، وتوفير المعدات اللوجستية من أجل ضمان مستدام للعملية، غير أن قلة موارد الدولة الإسبانية، وأور العمليات العسكرية المشتعلة في المنطقة وقف حائلًا أمام إتمام العملية وفق المخطط المرصود لها من طرف ساسة مدريد الذين كانوا يطمعون في خيرات المنطقة من أجل الهاء الرأي العام الإسباني الذي كان في غالبيته ناقدًا على هذه الحماية الإسبانية على شمال المغرب.

كلمات مفتاحية:

إسبانيا؛ شمال المغرب؛ الاستغلال الاستعماري؛ منطقة اللوكوس

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠١ أبريل ٢٠٢٠
تاريخ قبول النشر: ٢٢ مايو ٢٠٢٠

DOI 10.21608/KAN.2020.167796

معرف الوثيقة الرقمي:

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

وليد موحن، "إسبانيا واستغلال الموارد الطبيعية في شمال المغرب بين الرغبة الاستعمارية وضعف موارد المنطقة الخليفية: منطقة اللوكوس نموذجًا (١٩١٢-١٩٥٦)". دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشرة- العدد الثامن والأربعون: يونيو ٢٠٢٠، ص ١٠٤ - ١١٠.

Official website: <http://www.kanhistorique.org>

Twitter: <http://twitter.com/kanhistorique>

Facebook Page: <https://www.facebook.com/historicalkan>

Facebook Group: <https://www.facebook.com/groups/kanhistorique>

Corresponding author: Mouhan.walid@gmail.com

Egyptian Knowledge Bank: <https://kan.journals.ekb.eg>

Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com

Inquiries: info@kanhistorique.org

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نشرت هذه الدراسة في دورية كان التاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقَدِّمَةٌ

عرف البحث التاريخي تطورًا في المناهج والطرق وأضحى البحث فيه يلامس عدة جوانب ومناحي لم يخترقها الدارسين من ذي قبل، وفي هذا المضمار سلف الباحثون في تاريخ الحماية في المنطقة الشمالية، على البحث والتقصي في مراحل الكفاح المسلح والتركيز على الحركة الوطنية والإسهاب في الحديث على المعطيات السياسية ونشأة الأحزاب الوطنية، ولم يتحدثوا إلا لمامًا على الأوضاع الاقتصادية والوقائع الاجتماعية خاصة في المنطقة الخليفية^(١) التي لم تأخذ حقيها من البحث، وما زالت عدة من قضاياها منجمًا بكثرًا في حاجة إلى من يخترق لمامها، ويكشف مكنونها، وفي هذا الصدد اخترنا البحث في موضوع استغلال الموارد الطبيعية بشمال المغرب على عهد الحماية الإسبانية بمنطقة اللوكوس^(٢) نموذجًا برغم من عوز المادة المصدرية وقلة الأبحاث التي تميظ اللثام حول واقع الاستغلال الاستعماري الإسباني.

لا مناص أن غاية كل استعمار هي النفاذ إلى البلد المستعمر، من أجل الاستفادة من خيراته، ونهب ممتلكاته، والانتعاش من موارده، خاصة زمن الاستعمار الإمبريالي الذي عرفه العالم منذ القرن التاسع عشر الميلادي، الموجه من طرف المتروبولات الاستعمارية، والتي انطلقت في شمال إفريقيا بصفة جلية بعد الاحتلال الفرنسي الغاشم على الأراضي الجزائرية سنة ١٨٣٠م.

وإن كانت فرنسا قد عرفت مدرسة استعمارية كبرى لها أهداف وغايات ومرامي، نظمتها بفعل رحلاتها الاستكشافية، وتنظيماتها الجغرافية، ودرابة قادته العسكريين في الجزائر والهند الصينية، فإن الدولة الإسبانية-موضوع الدراسة- لم يكن لها نفس الباع والقوى، بل أنها كانت منهكة، حيث كانت إسبانيا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تعاني من تمزق سياسي وانهيار اقتصادي وتراجع اجتماعي وثقافي، حتى أضحت بلادهم خارج التحولات التي كانت تعرفها أوروبا والساحة الدولية آنذاك. فقد كانت إسبانيا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مثقلة ومتعبه تقلصت إمبراطوريتها وضعف حالها وأمماها التاريخ يجري والعالم حولها يتقدم ولا بد لها من مسابرة الركب إن أرادت العيش والبقاء^(٣).

إذ بسبب ذلك اضطرت الكثير من القطاعات الاقتصادية المرتبطة بالتجارة مع المستعمرات وافتقدت الدولة الكثير من الموارد التي كانت تحقق بواسطتها توازنًا ماليًا فدخل الاستعمار والإمبريالية الإسبانية مرحلة حرجة جدًّا بسبب التنافس الشديد

بين الدول الاستعمارية حول ما تبقى على المائدة الاستعمارية^(٤). فلم يكن من بد لإسبانيا سوى تصريف أنظارها نحو المنطقة الشمالية، من أجل الاستفادة من مواردها الطبيعية، والهاء الرأي العام الإسباني عن المشاكل الداخلية المستعصية.

وانطلاقًا من ذلك يحق لنا طرح الإشكالات التالية: ما

هي مصادر المعرفة الإسبانية بخصوص المنطقة الشمالية قبل الاستعمار؟ هل حقًا وجدت إسبانيا في المنطقة الشمالية وخاصةً منطقة اللوكوس مرتعًا من أجل الاستفادة من الموارد الطبيعية؟ وما طبيعة هذه الاستفادة وهل حققت النتائج المرجوة منها؟ وما أهمية منطقة اللوكوس في المخطط الاستعماري الإسباني؟

أولاً: شمال المغرب في المخطط الاستعماري الإسباني

من البديهي القول إن إسبانيا لم تكن بنفس المكانة الاستعمارية، بل لا يمكن اعتبارها قوة إمبريالية، بحيث لم تحصل على المنطقة الشمالية إلا لدوافع استعمارية أملتتها المصالح الإنجليزية، المتحصنة في مضيق جبل طارق بوابة المستعمرات الإنجليزية. لقد انطلق البحث الجغرافي حول المغرب بشكل مبكر وتعدّد رحلة على باي العباسي من بواكير الرحلات التي كانت لها نوازع ورغبات استعمارية تربو السيطرة على المغرب، وتبيان قيمته الجغرافية، ومكانة موارده الطبيعية. ولن يغيب على المتمعن في نص الرحلة كونها سفارية علمية في أساسها، وأن الهاجس السياسي لم يكن له من أهمية سوى التمويه على المركز السياسي بمدريد بحثًا عن الدعم المالي، بل إن القراءة الناقدة لتكشف عن افتتانه بالمغرب، وولعه بطبيعته، وتقديرًا لعاداته وتقاليده، وإجلال لدينه، لدرجة يكاد ينتفي معها وهم التجسس الذي أشيع عن صاحب الرحلة، وإن كان على باي لم يتخل عن انتقاد نظام الحكم المستبد، والأحوال الاجتماعية المتردية، وخصوصًا الاضطهاد الذي كان يكابده اليهود^(٥).

والواقع أنه يصعب علينا التمييز في هذه الرحلة، بين الغث والسمين بين الحقيقة والخيال، بين الصدق والكذب في مشروع الهيمنة الوارد في الرحلة المومأ إليها^(٦) ولم تنجح هذه الرحلة برغم كونها تركت معطيات جزلة وذات بال، غير أنها لم تكن كافية من أجل رسم صورة متكاملة على المنطقة الشمالية ومواردها التي كانت تسيل لعاب الإسبان، خاصةً منهم التيار الأفريقياني^(٧) الذي كانت تحذوه رغبات جامحة من أجل السيطرة

وقد استأثرت هذه المنطقة بدراسات وافية تستجلي قيمتها، ولعل من أهمها: بحث لوكاس فيرنانديث نافارو الصادر مع بزوغ عهد الاستعمار سنة ١٩١٢، والموسوم "معادن شمال المغرب" وهو عبارة عن جرد طويل لمعادن المنطقة، كان لحكايات السكان دور في النفخ فيها، من ذهب وفحم الليغينيت والحجري، وذلك في إطار فكرة للمؤلف تسعى إلى القول إن الاستكشاف يضفي طابع المنفعة على احتلال الأرض.^(٨)

وبعد ذلك تناسلت عدة تقارير جغرافية حول إمكانية المنطقة الطبيعية، حيث اجتمع خمسة متخصصين للقيام ببعثة من أجل دراسة السكان بالجهة الغربية لمنطقة الحماية، خارج الطرق التي كان يسلكها المستكشفون حتى ذلك الحين. فلوكاس فرنانديث نافارو تكلف بدراسة جيولوجيا المنطقة. أما كونستانسيو بيرنالديو دي كيروس، سيعمل على دراسة الجوانب الاطوغرافية في المنطقة، بينما قيرناندو ماريننت دي لاسكالير، سيتكلف بمهمة البحث على الحشرات المضرة بالمنطقة والعمل كمتحجم، وغيرهم الكثير من العلماء والعسكريين الذي انتشروا في المنطقة من أجل رسم صورة متكاملة ومحينة حولها. وسخروا أبحاثهم للجهاز الاستعماري الإسباني. لكن الصدمة كانت مدوية في مجمل تقارير هؤلاء، نظرًا لأن المنطقة لم تكن بذلك الزخم الذي روج حولها، والخيرات السخية التي بلورتها الاسطوغرافية الأفريقية حول المنطقة الشمالية وغناها من الموارد الطبيعية.

وهكذا صرح فلوكاس فرنانديث نافارو في مقال بجريدة "إسبانيا" في عددها ٣٠٣ الصادر يوم ١٥ يناير ١٩٢٢ بعنوان دال: فقر المغرب يدحض فيها أفكار كل دعاة غنى منطقة الحماية، وأنها ليست بتلك الغنى المرصود حولها. غير أنه لا يقف على هذا المعطى، بل ينسب ضعف استغلال الحماية إلى ترهل الجهاز الاستعماري الإسباني "من يدافعون عما نفعله في المغرب عليهم أن يبحثوا عن مبررات وتفسيرات في مجالات أخرى وليس في المقدرات الاقتصادية المنعدمة. إن المغرب في شموليته أرض يمكن أن تحتوي على مؤهلات اقتصادية عظيمة غير أن حمايتنا بكامل الصراحة بئسة ولن تتجاوز فقرها حتى وإن رفع النقب عن مصادر ثروته المتواضعة.^(٩) هذا ناهيك عن المقاومة التي كانت ضاربة أطنابها في سائر المنطقة الشمالية، والتي صعبت من مأمورية استغلال المنطقة الخليجية بوجه عام ومنطقة اللوكوس على وجه التحديد.

على المنطقة الشمالية وتقديم نصر موعود للأمة الإسبانية بعيد لها أمجادها الضائعة في كوبا والفلبين. ونشطت رحلات أخرى في الصد، وإن كانت تختلف في الظروف والمسببات، فإنها كانت تشترك في غاية توفير معطيات للجهاز الاستعماري^(٨)، وإن كانت في معظمها لم تأت بالجديد مقارنة بالرحلات الفرنسية التي جابت الأضفان المغربية، ودرستها من كافة النواحي الثقافية واللسانية والفكرية وبطريقة علمية وتحت إشراف معاهد الدراسات الفرنسية. وانطلاقًا من ذلك وتفاديًا لضعف المعرفة الجغرافية المتسربة من رحيق الرحلات الإسبانية وجهت إسبانيا أنظارها إلى الجمعيات الجغرافية والمكونات العلمية، والمعاهد الطبيعية من أجل إنجاز رسوم وخرائط ودراسات تكون مدعمة ونبراس لتسهيل مرام التغلغل الاستعماري بشمال المغرب، والهاء الرأي العام الإسباني على مشاكله الداخلية المستعصية. وهكذا نشطت معاهد جغرافية نشيطة تربو توفير معرفة جغرافية ملائمة وذات جودة وغائية للإسبان.

ثانيًا: منطقة اللوكوس في صلب اهتمامات الجمعيات الجغرافية الإسبانية

لقد اقتنع الإسبان أن العمل العسكري غير كاف من أجل تمهيد المنطقة، ولا مناص من دراستها علميًا، تسهيلًا لمرام استغلالها فلاحيًا واقتصاديًا. لقد كانت منطقة الحماية الإسبانية تنقسم إلى خمسة أقسام رئيسية: الكرت، الريف، غمارة، جباله، اللوكوس. ما ميز هذه الجهة الأخيرة هو موقعها الاستراتيجي بالنسبة للسلطات الإسبانية التي كانت تبحث وبشكل حثيث عن منفذ على الواجهة البحرية الأطلسية.^(٩) كما تمكنت إسبانيا أن تنجز بهذه الجهة مجموعة من المندوبيات التي اتخذتها كوسيلة للتدخل بمجال المنطقة الشمالية، من أهمها: مندوبية السكتى ومندوبية الاقتصاد والصناعة والتجارة والتي تضم مصالح التجارة والمعادن والسياحة، ثم مندوبية التربية والثقافة ومندوبية الأشغال العمومية والمواصلات ومندوبية المالية، ما يهمن معرفته هو أن هذه المندوبيات اعتبرت من الأدوات التي ساهمت في تنظيم المنطقة الخليفة على المستوى إنجاز بعض المشاريع الاقتصادية والاجتماعية والتجهيزات الأساسية، كما عرفت مدينة العرائش بناء ميناء للصيد البحري حيث اعتبر من أهم الموانئ الصيد وإخراج الأسماك بمنطقة النفوذ الإسباني.^(١٠)

ومحيطه. حيث كانت تشكل أشجار السنط مصدرًا مهمًا للخشب والفحم وبعض المواد الكيماوية الأخرى.

أما الثروة السمكية لنهر اللوكوس، فكانت مياه نهر اللوكوس تحمل إلى القصر الكبير تشكيلة وافرة ومتنوعة من الأسماك، شكلت معها ثروة غنية أخذ منها الإسبان الشيء الكثير، حيث تشير الروايات الشفهية أن الإسبان قضوا بشكل كلي على العديد من الأنواع بسبب الاستغلال المفرط. ومن جملة الأسماك التي كان نهر اللوكوس ينعم بها نذكر "الانقليس" الذي كان الإسبان يقبلون عليه بكثرة، وهو عبارة عن سمكة نحيفة طويلة تشبع الثعبان إضافة إلى شبك الشبوط والشابل. وفي الحقيقة نعدم دراسات وأبحاث تركز حول هذا الاستغلال ونوعيته سواء في الكتابات العربية أو نظيراتها المحبورة بالإسبانية حسب ما اطلعنا عليه. وتشير الجريدة الرسمية الصادرة في الرباط في ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ أن الحكومة الفرنسية استصدرت قرار بمنع البواخر الإسبانية التي تتجاوز حمولتها ٤٠ طنًا، مما يدل الاستغلال لهذه الثروة السمكية.^(١٦)

جدول رقم (١)

الصيد البحري في منطقة الحماية الإسبانية سنة ١٩٥٤م

الصيد البحري بمنطقة الحماية الإسبانية سنة ١٩٥٤ (١٧)	
كمية السمك المصطاد بالطن	موانئ الصيد البحري
١٠٠٨	أصيلا
١٨٩٩,٧	العرائش
٣٢,٩	الفنيدق
٥٥١,١	المضيق
٣٣٨,٤	مارتين
١١٧,٩	الناظور
٣٣٦٩,٥	الحسيمة

اعتبرت موانئ الصيد البحري في المنطقة الخليفة شمال المغرب موانئ تقليدية تجهيزاتها ضعيفة تركز على الصيد التقليدي الساحلي، الذي كان يشغل عددا مهما من الساكنة. وبحكم أهمية قطاع الصيد البحري للسلطات الاستعمارية عملت على تحديث وتجهيز عدد من الموانئ كل حسب أهميتها

ثالثاً: إسبانيا والاستغلال الاستعماري (أرقام ومعطيات)

من أجل استغلال أمثل للموارد الطبيعية في المنطقة كان لزاماً على سلطات الحماية الإسبانية التفكير في إنشاء السكة الحديدية في المنطقة، وقد عهد للمهندس لويس موراليس بتنفيذ المشروع الذي واجهته عدة عراقيل ومشاكل نظراً لمرور الخط وسط العديد من النقط التي كانت تتعرض لهجمات من طرف حركة المقاومة في المنطقة. وقد تمكن هذا الخط السككي حسب طوماس غرسيا فيكيراس ما بين سنتي ١٩٣٦ و ١٩٥٤ ما مجموعه ٧٨٠٦٠ مسافر، بينما سجلت نفس الفترة نقل ما مجموعه ٤٧٩٠٠ طن من البضائع جله من الموارد المعدنية المستخرجة من نطاق المنطقة.^(١٨) لقد رصد الإسبان أجود الأراضي، وركزوا صلب اهتمامهم على المناطق التي تضم ثروات معدنية وطاقية، لتقوم الإدارة الاستعمارية بتفعيل قانون نزع الملكية الذي يثم بموجبه نزع أراضي مَنْ لا يتوفر على وثائق تبرز ملكيته وهذا ما مكن السلطات الاستعمارية من وضع يدها على مساحات مهمة من الأراضي قامت بتفويتها للمعمرين الإسبان وللشركات الإسبانية التي نشطت بصفة كبرى في هذه الفترة.^(١٩) ومن أهمها نذكر:

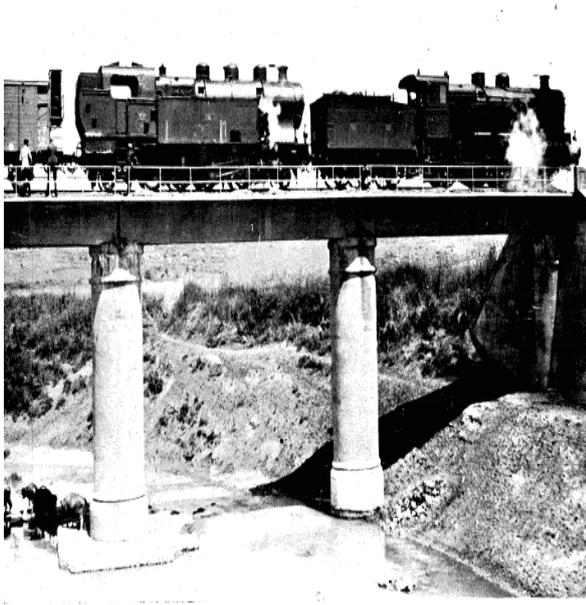
Compania De Industrias Corcheras De Marruecos

وتعني شركة صناعة الفلين في المغرب وتقوم بتصنيعه، والتي كان مقرها في تطوان ورأسمالها يبلغ حوالي ٢ مليون بسيطة، وكانت تتحكم في حوالي ٦٤٤٨٣ هكتار في المناطق الجبلية للمنطقة الشمالية، حيث تستخرج منها الفلين وتقوم بتصنيعه أو تصديره خامًا، وقد شكلت غابة "الخليفة"، التي كانت تمتد على حوالي على مساحة ألفين وخمسمائة هكتار بين القصر الكبير والعرائش، مصدرًا مهما للفلين، وكانت تشكل مصدرًا هامًا للأخشاب والفحم، كما كانت هذه الشركة تشرف على العديد من الهكتارات الغابوية في منطقة "أهل سريف" المحاذية لمنطقة القصر الكبير حيث كانت تستخرج الأخشاب والفلين والفحم.^(٢٠)

Extractos Curtientes y Productos Quimicos

ركزت هذه الشركة على أشجار السنط لاستخراج المواد الكيماوية هذه المواد التي كان يكلف استيرادها من طرف إسبانيا مبالغ مهمة من العملة الصعبة مما جعلها تتجه للاستثمار في هذه المادة بالمنطقة خاصة القصر الكبير

وتأخذ هنا مقتطف من جريدة الاتحاد التي كانت تعتبر لسان حال الحماية الإسبانية: بما أن الزراعة هي من أهم موارد ثروة هذا البلاد من تربتها المجيدة فلمنتوجات هذه المنطقة توجه إسبانيا أهم اعتنائها ومزيد اهتمامها والدليل على ذلك هو التنظيم الكبير لإدارة العمل الزراعي وتعليمه على النسق الجديد والكيفية الزراعية الحديثة وتحسين الأراضي لتتجود بالزيادة من غلاتها.^(٢١) كما عملت إسبانيا على إنشاء السكك الحديدية ومدها بمنطقة اللوكوس حتى يسهل عليها ربط مناطق الاستخراج في منطقة التصدير:



مرور احدى القطارات على قنطرة واد المخازن

صورة رقم (١)

مرور إحدى القطارات على قنطرة واد المخازن

ولم تكتف إسبانيا باستغلال الأراضي الزراعية والموارد الطبيعية بل عملت على فرض الضرائب المرهقة على الأراضي الزراعية، والتي ساهمت في تفجير أهل المنطقة الذين وجدوا أنفسهم عاجزين عن تأديته:^(٢٢)

بالنسبة إلى الاستراتيجية الاستعمارية الإسبانية، ومن أهم الموانئ التي دعمت بشكل بارز لاستغلالها ليس فحسب في الصيد العصري بل في تصدير المواد الأولية التي كانت تنهبها السلطات الاستعمارية. وهي: ميناء الحسيمة وميناء العرائش الذي نشطت فيه شركات لصيد بالمرزاب لصيد سمك التون.^(٢٣) تمكنت المؤسسات الاستعمارية الإسبانية من استغلال أنشطة الصيد البحري لفائدة المستعمر، سواء على الواجهة المتوسطية أو الأطلسية، غير أنها لم تركز على خلق مؤسسات صناعية مرتبطة بالصيد البحري يستفيد منها المغاربة، إذ اقتصر مجهودها على إنشاء شركات معدودة تعمل على تصنيع سمك التون وتصديره إلى الخارج عبر ميناء بني أنصار وميناء الفينديق.^(٢٤) ولا غرابة في انقراض مجموعة من الأسماك بمنطقة اللوكوس بعد أفول عهد الاستعمار، نتيجة هذا الاستغلال المفرط والمبالغ فيه من طرف سلطات الحماية الإسبانية في المنطقة.

جدول رقم (٢)

تطور المناطق المزروعة في منطقة اللوكوس^(٢٥)

السنوات	المساحة بالهكتار في منطقة اللوكوس بالهكتار	النسبة المئوية بالحماية الإسبانية من تراب المنطقة	مجموع المساحة
١٩٣٦-١٩٤٠	٤٢٨٠٠	٢٦,١	
١٩٤١-١٩٤٥	٦٨٧٠٠	٢٧١	
١٩٤٦-١٩٤٩	٩٩١٠٠	٣٥,٩	
١٩٥٠-١٩٥٣	١٣٠٤٣٣	٣٨,٤	

لقد توسعت مساحة المنطق المزروعة بمنطقة اللوكوس بشكل كبير وذلك بغية من الاستعمار الإسباني استغلال المنطقة بأكبر قدر من الإمكان، لا سيما المناطق القروية المحيطة بالمنطقة، والتي تتميز بتربة خصبة، وأراضي زراعية ذات جودة عالية، كما تتلقى تساقطات مطرية، ويسهل عملية سقيها من مياه نهر اللوكوس. وقد عملت إسبانيا على تشجيع الفلاحين على زرع أراضيهم، أو الاستيلاء عليها عن طريق القوة، من أجل الاستفادة من زاد خيراتها. كما لعبت الصحف دورًا رياديًا في الترويج لهذه العملية، والتنويه بالأعمال الزراعية والحضارية للدولة الإسبانية.

خاتمة

إن وظيفة أي استعمار هي استغلال طاقات وموارد وثروات البلد المحتل، ولم تشذ الدولة الإسبانية على هذا المعطى ودأبت على استغلال كافة الموارد المتاحة لها بالمنطقة الشمالية من ثروات سمكية ومعدينية وطاقية، وإذا كان الاستغلال بالمنطقة الفرنسية كتب حوله الشيء الكثير، فإن هذا الباب لم يفرد له سوى النزر القليل في المنطقة الإسبانية، وما زال في حاجة ماسة إلى التقصي والتنقيب من أجل كشف أوجه الاستغلال الإسباني للموارد الطبيعية. إن الحماية الإسبانية كانت مسؤولة على الاستغلال المفرط في المنطقة الشمالية، خاصة في سهل اللوكوس الغني من الناحية الطبيعية مقارنة بباقي مناطق الحماية الإسبانية الضعيفة في مواردها الطبيعية ولا غرو أن هذه النتف التي أفردناها ضمن رحاب هذا المقال سوى إشارات أولية لهذا الموضوع الثري والغني، والذي لازال في حاجة ماسة إلى البحث والتنقيب في الأرشيفات الأجنبية خاصة منها الإسبانية.

الدرجة 4 - قدر الضريبة المفروضة للسنة الحالية ما يأتي :
الدرجات
بسيطات إسبانية عن كل هكتار

الدرجات	7	6	5	4	3	2	1
الزراعات والمحروقات	9675	16625	22675	29625	35675	42625	48675
القمح	7680	13600	18620	23640	28660	33680	38600
القمح	7620	12600	16680	21660	26640	31620	36600
الزراعات	8670	14650	20630	26610	31690	37670	43650
الزراعات	7680	13600	18620	23640	28660	33680	38600
الزراعات	11625	18675	26625	33675	41625	48675	56625
الزراعات	6675	11625	15675	20625	24675	29625	33675
الزراعات	8670	14650	20630	26610	31690	37670	43650
الزراعات	8625	13675	19625	24675	30625	35675	41625
الزراعات	7620	12600	16680	21660	26640	31620	36600
الزراعات	12600	20600	28600	36600	44600	52600	60600
الزراعات	13650	22650	31650	40650	49650	58650	67650
الزراعات	6675	11625	15675	20625	24675	29625	33675
الزراعات	10650	17650	24650	31650	38650	45650	52650

ووجب التأكيد أخيراً أن إسبانيا لم تجد في منطقة اللوكوس تلك المنطقة الموعودة بالاستغلال والاستفادة، على غرار المنطقة الشمالية برمتها، وان كان سهل اللوكوس أكثر غنى من المناطق الريفية ومنطقة غمارة حسب الإحصائيات الاستعمارية التي تناولت المنطقة. كما أن الألية الاستعمارية الإسبانية لم تكن بتلك القوة التي بإمكانها تأهيل المنطقة بما فيه الكفاية. فقد تدمرت إسبانيا من هذا الاستعمار، وتكدبت هزائم نكراء حتى خرجت عدة أقاليم إسبانية على مختلف المنابر، تتحدث عن المنطقة، بكونها صغيرة المساحة ويصعب استغلالها بشرياً وطبيعياً، وإلقاء اللومة على فرنسا التي احتكرت اللحم المغربي ورمت بالعظم لإسبانيا^(٣٣)، التي قدمت تضحيات بشرية ومالية كبيرة من أجل أداء تلك الرسالة النبيلة، ألا وهي الحماية الإسبانية. إن المغامرة الاستعمارية الإسبانية التي كانت تحلم باستغلال الموارد الطبيعية بالمنطقة الشمالية، لم تجد سوى أرض قليلة لاستغلالها، وثروة يسير من أجل الاستفادة منها، عملت على استنزافها بطريقة مفرطة كان لها نتائج وخيمة على منطقة الشمال برمتها بعد أفول عهد الحماية وبروغ عهد الاستعمار.

الهوامش:

- (٩) علي بولبرج، السياسة الترابية للسلطات الاستعمارية الإسبانية شمال المغرب (١٩١٢ - ١٩٥٦)، تطوان، مطبعة الهداية، ٢٠١٥، ص ٥٠.
- (١٠) المرجع نفسه، ص ٥١. وأيضًا انظر: المختار الهراس: القبيلة والسلطة تطوار البنيات الاجتماعية في شمال المغرب.
- (١١) بيرنابي لوبيث غارسييا، المغرب وإسبانيا تاريخ ضد كل منطق، ترجمة محمد المساري، منشورات ليتوغراف، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص: ١٠٢.
- (١٢) المرجع نفسه، ص ١١٧.
- (13) Tomas Garcia Figuras. Espana y su Protectorado en Marruecos; Instituto de Estudios Africanos. Madrid, 1949. P117.
- (١٤) سعيد حاجي، القصر الكبير خلال مرحلة الحماية ١٩١٢-١٩٥٦، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ٢٠١٦، ص ١٩٦.
- (١٥) المرجع نفسه، ص ٢٠٤.
- (١٦) طوماس راميريث أوطيث، القصر الكبير تاريخ مغربي صغير، تعريب عبد الرحمان الشاوش، مراجعة محمد أكريف، منشورات جمعية البحث التاريخي والاجتماعي بالقصر الكبير، ٢٠١٢، ص ١٤٩.
- (١٧) علي بولبرج، السياسة الترابية للسلطات الاستعمارية الإسبانية بشمال المغرب ١٩١٢-١٩٥٦، مرجع سابق، ص ١٠١-١٠٢.
- (١٨) المرجع نفسه، ص ١٠٣.
- (١٩) عبد الرحيم برادة، إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الجزء الثاني، ٢٠٠٦، ص ١٨٣.
- (20) Ben Attou, Mohammed, Le protectorat espagnol et le Nord marocain: organisation administrative et stratégie socio-économique : le cas du Bas-Loukkos, Lucus; Dirassat. - N° 11, 2003., - Agadir: Faculté des lettres et des sciences humaines, 2003. p.٧٤.
- (٢١) كاتب مجهول، "عمل إسبانيا التحضيري في المغرب النبر الامتحاني الزراعي بالعرائش"، جريدة الاتحاد، العدد ٦، صفر سنة ١٣٤٦.
- (٢٢) الجريدة الرسمية لمنطقة حماية إسبانيا بالمغرب، تطوان ٧ شعبان عام ١٣٦٠هـ/ ٣١ غشت سنة ١٩٤١، العدد ٢٤، ص ١٢.
- (٢٣) عبد الرحيم برادة، الحماية الإسبانية على شمال المغرب ومسؤولياتها في بروز المشاكل الاقتصادية بالمنطقة، مجلة أمل، العدد ٤٣، خريف ٢٠١٤، ص ٩٥.

(١) لم تفرد للمنطقة الخلفية دراسات ذات بال حول الاستغلال الاستعماري إلا لمامًا وعرضًا، بينما أخذت فرنسا دراسات ثرة وغنية في هذا الصدد. ومن هذه الدراسات نذكر: جمال الحيمر، الاستيطان الزراعي بإقليم مكناس: نماذج من التقنين الاستعماري: ضمن (أمل: التاريخ، الثقافة، المجتمع). - ع. ٣٨، ٢٠١٢، ص. ١٤٦-١٥٥، جلال زين العابدين، الاستيطان الأوروبي في المغرب على عهد الحماية الفرنسية وانعكاساته الاجتماعية، مجلة دراسات استشرافية، العدد ١٦، ٢٠٠٨، ص ٩٣-١٠٨، أحمد تافسكا، الفلاحة الكولونiale في المغرب ١٩١٢-١٩٥٦، مطابع أميريال، الرباط، ١٩٩٨. كما عملت فرنسا على إصدار مجلات في هذا الصدد أهمها:

Bulletin des Colons: revue de défense des intérêts de l'agriculture au Maroc/ La Chronique des Mines Coloniales- Le Cheminot marocain

(٢) ومن الدراسات القليلة التي تناولت الاستغلال الاستعماري في المنطقة الشمالية نذكر:

-Ben Attou, Mohammed, Le protectorat espagnol et le Nord marocain: organisation administrative et stratégie socio-économique: le cas du Bas-Loukkos, Lucus; Dirassat. - N° 11, 2003., - Agadir: Faculté des lettres et des sciences humaines, 2003. p. 41-107, Romero Vicente: Las minas del Rif y Melilla, 1916: las vetas de una mirada centenaria. Melilla : Consejería de Cultura, Servicio de Publicaciones.

(٣) علي بولبرج، الخطاب الاستعماري الإسباني حول شمال المغرب (1850-1950): إشكالات أولية، مجلة المناهل، العدد 89-90، رجب-1432 يونيو 2011، ص 88.

(٤) عبد الرحيم برادة، إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931-1956، الجزء الأول، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007، ص 99.

(٥) علي باي، فومينغو فرانتسكو بادي، رحلات عبر المغرب، ترجمة مزوار الإدريسي، منشورات ليتوغراف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ٦.

(٦) محمد المرجان، الرحلة والمعرفة الكولونiale: المغرب بعيون الرحالة الإسبان خلال القرن التاسع عشر ميلادي، دار أبي رقراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٦، ص ٤٥.

(٧) تيار ايدولوجي برز في إسبانيا خلال القرن التاسع عشر، كان يربو نشر الحضارة الإسبانية في المناطق الأفريقية، خاصة منها المغرب وغينيا، وعمل على نشر أفكار تبشر بتفوق العنصر الإسباني، وضرورة نشر حضارته في هذه الأصقاع البدائية.

(٨) نذكر في هذا الصدد

Jose Maria de Murga; Recuerdos Marroquies del Moro Vizcaino; Puerto Aguirre; Expedicion en el Riff; Manuel Liana y Otriso Rodrigan ;El imperio de Marrucos....